أبواب السماء



إعداد

دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري





أبواب السماء



الدار العالمية
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

٢٠٣٠/٢٠١٦م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-137-7



الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

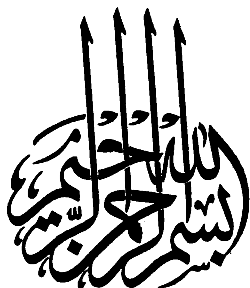
أبواب السماء

إعداد

دكتور / هشام عبد الجواد الزهيري



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب السماء

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، **أمّا بعد:**

فإنّه قد ذُكِرتْ أبواب السماء في السُّنّة كثيرًا في مواضع متعددة وعلى أنحاءَ شتى ممّا يدل على أنّ معرفة المؤمن بذلك المعنى هو ممّا له أثرٌ عظيمٌ في زيادة إيمانه ويقينه. ولذا فهذه رسالة أعرض فيها طرفًا ممّا ذُكِر في السُّنّة عن هذا المعنى، واللهَ أسألُ أن تكون هذه الرسالة سببًا لزيادة الإيمان واليقين في القلوب، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كتبه

دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري

الفصل الأول
أبـواب السماء

- وهي تفتح في أوقاتٍ دون أوقاتٍ:

ما ورد في السُّنّة يدل على أنّ السماء لها أبواب، وهذه الأبواب ليست مفتوحةً دائمًا بل تُفتَح - بإذن الله وأمره - في أوقاتٍ دون أوقات، فقد روى مسلمٌ في صحيحه أَنَّ رَجُلًا كَانَ يصلي خلف النبي ﷺ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فقَالَ ﷺ: **«مَنْ الْقَائِلُ كَلمة كَذَا وَكَذَا؟»** فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: **«عَجِبْتُ لَهَا! فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ»**. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول ذلك. فقوله: **«فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ»** يدل على أنّ أبواب السماء كانت مغلقةً وقد فُتحت لهذا القول. وفي الحديث: **«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا**

وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ أَهْلًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا» [رواه أَبُو دَاوُد وحسنه الألباني]، وهذا الحديث يدل على أنّ أبواب السماء لا تُفْتَحُ للّعنة كما يدل على أنّ الأرض أيضًا لها أبواب ولا تفتح أيضًا للّعنة.

ـ وفي الحديث عند أحمد والترمذي ـ وصححه الألباني ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: **«إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»** وهذا يدل على أنّ أبواب السماء تفتح بعد الزوال إلى أن تُصلَى فريضة الظهر. ويدل كذلك على استحباب الاجتهاد في العمل الصالح في الأوقات التي تُفتح فيها أبواب السماء. ويدل كذلك على أنّ أبواب السماء إذا فتحت كان أدعى لقبول العمل الصالح.

وَرَوَى أَبُو دَاوُد وابن ماجه وقال المنذري: في إسنادهما احتمال للتحسين: **«أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ تُفْتَحُ**

لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ» [وصححه الألباني دون قوله: لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ].

وروى الطبراني في الكبير والأوسط: **«إِنَّهُ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَلَا يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ حَتَّى تُصَلَّى الظُّهْرُ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِي تِلْكَ السَّاعَةِ خَيْرٌ»** [ضعفه الألباني]. وهو يدل على أنّ أفضل عملٍ يجتهد به المؤمن عند فتح أبواب السماء هو الصلاة.

وَفِي رواية للْبَزَّارِ: **«تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَنْظُرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالرَّحْمَةِ إِلَى خَلْقِهِ، وَهِيَ صَلَاةٌ** - أي بعد الزوال - **كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى صلوات الله عليهم»** [ضعفه الألباني]. وهو يدل على أنّ أبواب السماء إذا فتحت صاحب ذلك رحمةٌ من الله بعباده.

- وهذا يدل على فضل الصلاة في ذلك الوقت، وقد روى ابن المبارك عن عُمَرَ بْنِ الخطاب - بسندٍ صحيح - «مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْ حِزْبِهِ مِنْ اللَّيْلِ، فَقَرَأَهُ حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ تَفتهُ أَوْ كَأَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَهُ» وله حكم

الرفع إذ لا يقال من قِبَل الرأي وعن سعد بن إبراهيم قال: **«فَلْيُصَلِّ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ»** [وسنده صحيح].

ـ وكذا تفتح أبواب السماء عند نزول المطر ولذا يُستجاب الدعاء عند نزول المطر، فقد رَوَى الطبراني وَالْبَيْهَقِيُّ: **«تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عَنْدَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ فِي سبيل الله، وَعَنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعَنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَعَنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ»** [وضعفه الألباني]، وأورد الألباني في صحيح الجامع: **«ثِنْتَانُ لَا يُرَدُّ فِيهِمَا الدُّعاءُ: عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ وَعِنْدَ الْتِقَاءِ الجيشين»**.

وروى ابن عبد البر: **«ثَلَاثُ خِلَالٍ تُفَتَّحُ فِيهِنَّ أَبْوَابُ السَّماءِ فَاغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ فِيهِنَّ: عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ، وَعِنْدَ الْتِقَاءِ الزَّحْفَيْنِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ»** [حسن بمجموع الطرق].

ـ وكذا تفتح في الثلث الأخير من الليل وفي النصف الثاني من الليل، فقد روى أحمد ـ وصححه الشيخ أحمد شاكر ـ : **«إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا**

ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»، وفي رواية للطبراني ـ وصححها الألباني ـ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ؟ فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارًا**».

وقوله «**يَهْبِطُ**» أي ينزل. وهذان الحديثان يدلان على أنّ نزول الله إلى السماء الدنيا يقتضي فتح أبواب السماء، والله أعلم.

ـ وكذا تُفتح أبواب السماء يومي الاثنين والخميس ففي الحديث: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَيُغْفَرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا امْرَأً كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**» [رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر].

ـ وكذا تُفتح عند صعود روح العبد الصالح، ففي حديث قبض روح المؤمن: «**حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ**

كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ قِبَلِهِمْ» [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع]. وهذا يدل على وجود ملائكة بين السماء والأرض وملائكة في السماء. كما يدل على وجود ملائكةٍ في كل بابٍ من أبواب السماء.

ـ وكذا تُفتح أبواب السماء يوم عرفة وليلة النصف من شعبان من المغرب إلى الفجر، ففي الحديث: **«وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِّينَ جَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي»** [رواه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة، وصححه الشيخ الأرنؤوط بشواهده].

وروى أحمد ـ وصححه الألباني ـ : **«يَطَّلِعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا اثْنَيْنِ: مُشَاحِنٍ**

وَقَاتِلِ نَفْسٍ». وقوله **«يَطَّلِعُ»** تحتمل النزول إلى السماء الدنيا كما رُوي بذلك حديثٌ لا يصح، ويحتمل الاطلاع دون نزول. وعلى كلا الاحتمالين فإنّ أبواب الرحمة والمغفرة تُفتح ليلة النصف من شعبان، فقد روى البيهقي ـ وقال: هذا مرسل جيد، وضعفه الألباني ـ : **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ»**. وقد قدمنا في الأحاديث أنّ الله حين ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير والنصف الأخير من الليل، حينذاك تُفتح أبواب السماء، وعليه فنزوله يوم عرفة يقتضي فتح أبواب السماء بل تفتح كذلك أبواب الرحمة والمغفرة، ففي حديث عرفة: **«إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِصَالِحِكُمْ وَشَفَّعَ صَالِحَكُمْ فِي طَالِحِكُمْ، وَتَنْزِلُ الرَّحْمَةُ فَتَعُمُّهُمْ»** [رواه الطبراني وقال المنذري: رواته محتج بهم في الصحيح إلّا أنّ فيهم رجلًا لم يُسمَّ]. وكذا فتحه لأبواب الرحمة والمغفرة ليلة النصف من شعبان يستلزم فتح أبواب السماء.

أبواب السماء تُفَتح للعمل الصالح :

قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر: ١٠) وقد اختلف العلماء في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ وقد نقل القرطبي وغيره عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنّ المعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب. أ.هـ. وهذا يدل على أنّ القول الطيب يصعد إلى الله ويرفعه العمل الصالح، وهذا يدل على تفاوت صعود الأعمال إلى الله، وقد روى الحاكم ـ وصححه ـ عن ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: **«إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْتُكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَتَبَارَكَ اللَّهُ، قَبَضَ عَلَيْهِنَّ مَلَكٌ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَصَعَدَ بِهِنَّ لَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يُحَيَّا بِهِنَّ وَجْهُ الرَّحْمَنِ ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ** قوله تَعَالَى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر: ١٠)» [وضعفه الألباني].

قال المنذري: كذا في نسختي «**يُحَيَّا**» بالحاء ورواه الطبراني

«حَتَّى يَجِيءَ» بالجيم، ولعله الصواب. أ.هـ. وهذا يدل على أنّ هذه الأذكار تصعد حتى تصل إلى عرش الرحمن. وهو يدل كذلك على أنّ العمل الصالح نفسه يصعد إلى السماء وتفتح له أبوابها. وفي الحديث: **«إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ»** [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني]. وهو يدل على أنّ هذه الأذكار تصعد إلى السماء حتى تصل إلى العرش وأنّها لا تزال تُذكِّر باسم صاحبها عند عرش الرحمن. وهو يدل كذلك على أنّ الذكر من أفضل الأعمال ثوابًا وأنّ صعوده أعظم من صعود غيره.

- وروى النسائي: **«مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصًا بِهَا رُوحُهُ، مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبُهُ، نَاطِقًا بِهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ السَّمَاءِ فَتْقًا حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَى قَائِلِهَا مِنَ الْأَرْضِ،**

وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ» [وضعفه الألباني].

وهو يدل على أنّ من العمل ما تُفتح له أبواب السماء وتظل مفتوحة بعد صعوده حتى ينظر اللهُ إلى قائلها من الأرض، وهذا نظرٌ خاص فاللهُ لا يحجب شيءٌ خَلْقَه عن بصره وإحاطته. وهو يدل كذلك على أنّ العبد يُشرع له أن ينوي بهذا الذكر سؤلًا من ربه والله يعطيه إيّاه إذا كان صادقًا مخلصًا، ووجه ذلك أنّ قول العبد **«لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»** هو إقرارٌ بأنّ الله يملك كل شيء ولا يعجزه شيء وهو المحمودٌ من عباده دائمًا على جميل فضله وإحسانه، فللعبد أن ينوي بقوله هذا الدعاء أن يسأل ربه الذي يملك كل شيء ولا يعجزه شيء وفضله لا نهاية له، أن يسأله ما يشاء من فضله وكرمه سبحانه، وروى الترمذي ـ وحسنه الألباني ـ : **«مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»**. وهذا يدل على أنّ هذا القول نفسه تُفتح له أبواب

السماء حتى يصل إلى العرش بشرط إخلاص قائلها واجتنابه الكبائر.

- وروى الأصبهاني - وضعفه الألباني -: **«مَا مِنْ مُصَلٍّ: إِلَّا وَمَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ، وَمَلَكٌ عَنْ يَسَارِهِ، فَإِنْ أَتَمَّهَا عَرَجَا بِهَا وإِنْ لَمْ يَتِمَّهَا ضَرَبَا بِهَا وَجهه»** وهذا يدل على أنّ الصلاة يصعد بها ملكان إلى السماء إذا قُبلت وإلّا لم يصعدا بها. وهذا يدل على أنّ العمل الصالح منه ما يصعد بنفسه ومنه ما يصعد به الملائكة. ويدل لذلك أيضًا حديث البخاري أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى فَلَمَّا رَفعَ رَأْسَهُ مِنْ الرَّكْعَةِ وَقَالَ: **«سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»**. قَالَ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِهِ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ. قَالَ: **«مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟»** قَالَ: أَنَا. قَالَ: **«رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»** أي ليصعد بها بدليل رواية: **«أَيُّهُمْ يَصْعَدُ بِهَا»** [رواها النسائي في السنن الكبرى]. وَعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَالَ رَجُلٌ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، فَأَعْظَمَهَا الْمَلَكُ أَنْ يَكْتُبَهَا، وَرَاجَعَ**

فِيهَا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقِيلَ لَهُ: اكْتُبْهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي كَثِيرًا» [الصحيحة: ٣٤٥٢]، وهو مع الحديث السابق يدلان على أنّ حمد الله من أعظم الذكر الذي تصعد به الملائكة إلى الله وتتنافس في كتابته والصعود به. كما يدل على أنّ الحمد أيضًا من أعظم الأذكار التي تصعد إلى أعلى المنازل.

فوائد:

١- قد دلّت الأحاديث على أنّ الأعمال الصالحة التي تصعد إلى السماء تتفاوت في درجة صعودها وأنّها كلما كانت أعظم منزلةً كانت أعظم في الصعود، وقد تقدّم حديث صعود التسبيح والتحميد والتهليل إلى العرش، وقد روى ابن خزيمة ـ وصححه الألباني ـ : **«ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَلَاةً وَلَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ وَلَا تُجَاوِزُ رُءُوسَهُمْ: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَرَجُلٌ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ، وَامْرَأَةٌ دَعَاهَا زَوْجُهَا مِنَ اللَّيْلِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ»**، فتأمّل كيف جعل قوله «**وَلَا تُجَاوِزُ رُءُوسَهُمْ**» دليلًا على عدم قبول عملهم وهو

يدل على أنّها لو قُبلت صلاتهم لصعدت إلى السماء، وفيه إشارةٌ كذلك إلى أنّ العمل كلما كان أعظم قبولًا عند الله كان أعظم صعودًا في السماء. وفي الحديث: **«كَلِمَتَانِ إِحْدَاهُمَا لَيْسَ لَهَا نَاهِيَةٌ دُونَ الْعَرْشِ، وَالأُخْرَى تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»** [رواه الطبراني، قال المنذري: رواته ثقات سوى ابن لهيعة، ولحديثه هذا شواهد]، فانظر كيف جعل كلمة **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»** تصل إلى العرش، وكلمة **«اللَّهُ أَكْبَرُ»** تملأ ما بين السماء والأرض ولكن لا تصل إلى العرش!! وفي دعاء النبي ﷺ الثابت عنه: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»**، فدلّ على أنّ عدم رفع العمل دليلٌ على عدم قبوله، ولم يذكر في الدعاء عدم الرفع ممّا قد يدل على أنّه لا يشترط في الدعاء أن يُرفع حتى يُقبَل بل يكون رفعه دليلًا على أنّه أدعى لإجابته وليس شرطًا لإجابته، وفي الحديث: **«كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»** [الصحيحة: ٢٠٣٥]،

وهو محمولٌ ـ والله أعلم ـ على حجبه عن الصعود إلى أعلى مكانٍ يصعد إليه الدعاء، أو محجوبٌ عن الصعود إلى المنازل العُلى أو على أقصى تقدير عن الصعود أصلًا لقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ**» [رواه الترمذي وحسنه الألباني]، ولا يعني ذلك عدم استجابته ولكنه يدل على عظيم أثر الصلاة على النبي ﷺ، في استجابة الدعاء ورفعه إلى المنازل العُلى.

٢- الظاهر ـ والله أعلم ـ أنّ تعدّد أبواب السماء يدلّ على اختلاف ما ينزل منها وما يصعد فيها، ويدل لذلك حديث: «**كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْءَانُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**» [الصحيحة: ٥٨٧]، وظاهر الحديث أنّ كلّ حرفٍ من أحرف القرءان نزل من بابٍ مخصوص من أبواب السماء. وروى ابن أبي الدنيا وغيره عن عليّ بن أبي طالب في قوله تعالى عن

آل فرعون: «﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان : ٢٩) قال: إذا مات المؤمن بكى عليه موضعان: موضع سجوده وموضع صعود عمله الصالح».

٣- قوله ﷺ - وسيأتي - عن رمضان: **«فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ»** قد يكون قوله **«فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ»** تأكيدًا لما قبله وقد يكون فيه إشارة إلى أنّ أبواب الجنّة قد يُفتح بعضها دون بعض في بعض الأحيان وأمّا في رمضان فتفتح فيه أبواب الجنّة كلها. وكذا قد يُقال في أبواب السماء وأبواب الرحمة وأبواب الفضل أنّها قد تُفتَح كلها أحيانًا وقد يُفتح بعضها دون بعض، وأنّ ورود أحاديث بفتح أبواب السماء وغيرها من الأبواب قد يعني فتحها كلّها وقد يعني فتح أكثرها، والله أعلم.

أبواب السماء تُفَتح لدعوة المظلوم :

فقد روى أحمد والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة: **«ثَلاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ**

الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» [حسنه الترمذي].

وهو يدل على أنّ أبواب السماء تفتح لدعوة المظلوم، وأنّها نفسها تصعد إلى السماء فوق الغمام. وقد ورد ما يدل على أنّ أبواب السماء تفتح كذلك في أوقاتٍ يُستجاب فيها الدعاء، فقد روى أحمد: **«إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ»** [وحسنه الألباني]. و**«ثُوِّبَ»** تشمل الأذان والإقامة، والله أعلم. وهذا الحديث يدل على أنّ أبواب السماء تُفتح عند الأذان والإقامة وهما من أوقات استجابة الدعاء، فيكون فتح أبواب السماء لدعوة المظلوم ليس مقتصرًا عليها، ولكن قد يكون فتح أبواب السماء لها أعظم من غيرها، كما أنّها تصعد أكثر من غيرها من الدعاء وقد يكون من الدعاء ما لا يصعد أصلًا رغم إجابته. كما يدل الحديث على أنّ أبواب السماء إذا فتحت استجيب الدعاء. وفي الحديث: **«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**

وَارْغَبُوا إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا» [الصحيحة: ٣١٨٣]، وهو يدل على أنَّ نزول الملائكة من السماء يصاحبه استجابة الدعاء، ووجه ذلك أنَّ نزول الملائكة يعني أنَّ أبواب السماء مفتوحة، والدعاء يُستجاب عند فتح أبواب السماء. وقوله «**ارْغَبُوا إِلَيْهِ**» يدل على التوسع في السؤال والطلب من الله؛ فإنَّ كلمة «الرغبة» تدل على الاتساع يقال «وادٍ رغيب» أي واسع.

- ولهذا المعنى أيضًا - أعني توافق استجابة الدعاء مع نزول الملائكة - شُرِع الدعاء في مجالس الذكر؛ فإنّها تحفّها الملائكة وفي الحديث: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» [رواه مسلم]. وفي الحديث أيضًا: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ**

وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. إِلَى أَنْ قَالَ: فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا يَا رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» [رواه البخاري ومسلم].

وفيه أيضًا: «قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ» فانظر كيف جمعوا بين الذكر وسؤال الجنّة والاستعاذة من النار، وكيف ذكر الحديث اجتماع الملائكة معهم وربط بين ذلك وبين دعاء الذاكرين؟!

ـ وفي الحديث عند البزار والطبراني والحاكم ـ وحسنه الألباني ـ : «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أي يتصارعان. وهو يدل على أنّ الدعاء مطلقًا يصعد إلى السماء ويمنع نزول البلاء.

أبواب السماء تفتح في أوقات غير محدّدة تفضلاً من الله :

روى ابن ماجه ـ وصححه الألباني ـ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلّى بِأَصحَابِهِ الْمَغْرِبَ فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ،

فَجاءَ ﷺ مُسْرِعًا وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى**» وهذا يدل ـ بلا شك ـ على فضيلة المكث في المسجد من فريضةٍ إلى أخرى، وظاهره أنّ هذا الباب قد فُتح ولم يكن يُفتح لهذا العمل من قبل ولا يُشترط ـ والله أعلم ـ أن يُفتح لكل مَنْ جلس بعد فريضةٍ ينتظر أخرى، وفي الحديث: «**بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**» [رواه مسلم].

وهذا يدل على أنّ من أبواب السماء ما لا يُفْتَح أصلًا إلى يوم القيامة، وأنّ منها ما يُفْتَح مرةً واحدة لسببٍ مخصوص،

وأنّ مثل هذه الأبواب لا تُفتح إلّا لسببٍ شريف عظيم. وفي الحديث أيضًا أنّ من الملائكة ما لا ينزل إلى الأرض أصلًا، ومنهم من ينزل مرةً واحدةً لغرضٍ شريف. وفيه أنّ الملك لا ينزل من السماء حتى يُفْتَح له بابٌ من أبواب السماء.

ـ وفي حديث أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَرَأَ الْقُرْءَانَ فَرَأَى مثل المصباح مُدَلًّى بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فقال ﷺ له حين أخبره: **«تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ تَنَزَّلَتْ لِقِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ مَضَيْتَ لَرَأَيْتَ الْعَجَائِبَ»** [رواه ابن حبان وصححه الشيخ الأرنؤوط]. ورواه البخاري ومسلم بلفظ: **«تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ»** وهذا يدل على فتح أبواب السماء ونزول الملائكة لسماع قراءة الصالحين المحسنين للقرءان.



الفصل الثاني

أبـواب الجنّة

وقد دلّت أحاديث على أنّ للجنّة أبوابًا، وأنّ هذه الأبواب تُفتَح ـ بإذن الله وأمره ـ في الدنيا في أوقاتٍ ولأعمال مخصوصة، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنّ فتح أبواب الجنّة أعظم من مجرد فتح أبواب السماء بمعنى أنّه إذا فُتِحت أبواب الجنّة فهذا يعني فتح أبواب السماء وزيادة، وأمّا مجرد فتح أبواب السماء فهو لا يعني بالضرورة فتح أبواب الجنّة.

ـ وإذا كان فتح أبواب السماء ـ كما تقدّم في الأحاديث ـ يعني نزول الرحمة واستجابة الدعاء ويقتضي من العبد مزيدًا من الاجتهاد في العمل الصالح، فإنّ فتح أبواب الجنّة يعني مزيدًا من ذلك كلّه. ولذا جعل ﷺ فتح أبواب الجنّة في رمضان دليلًا عظيمًا من أدلة وجود الخير والرحمة في رمضان، ففي الحديث: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ**

وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» [متفقٌ عليه]، وفي رواية لمسلم: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ». وفي رواية للترمذي ـ وصححها الألباني ـ : «غُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»، وفي رواية للنسائي: «تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ» [وحسنه الألباني]. فذكر في رمضان فتح أبواب السماء وفتح أبواب الجنّة وفتح أبواب الرحمة، ولا تعارض بينها بل فتح أبواب الجنّة يستلزم فتح أبواب السماء وفتح أبواب الرحمة. وهذا يدل على استجابة الدعاء في رمضان مطلقًا في ليله ونهاره وكذا على تنزل الرحمة فيه عمومًا وعلى كثرة البركة والخير النازلين فيه للعباد من عند ربهم.

ـ وروى مسلمٌ: «تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

أَخِيهِ شَحْنَاءُ» وهذا يقتضي فتح أبواب السماء وزيادة، وقد تقدّم في رواية أحمد النص على فتح أبواب السماء كذلك يومي الاثنين والخميس. وهذا يقتضي ـ كما ذكرنا ـ مزيدًا من الاجتهاد في العمل الصالح يومي الاثنين والخميس، ويدل لذلك رواية الطبراني ـ وصححه الألباني ـ : **«تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَمِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ، وَمِنْ تَائِبٍ فَيُتَابُ عَلَيْهِ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّغَائِنِ لِضَغَائِنِهِمْ حَتَّى يَتُوبُوا»**.

ـ وفي الحديث: **«مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ، أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»** [رواه مسلم]. وقوله: **«يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»** أي قائلها وهذا يدل على أنّ قائلها والمداوم على ذلك يوفقه الله للاجتهاد في كل أبواب العمل الصالح من صلاةٍ وذكرٍ وصدقةٍ وصيامٍ وجهادٍ حتى تُفْتَح له أبواب الجنّة الثمانية. ويحتمل أن يكون المراد من قوله **«يَدْخُلُ مِنْ**

أَيِّهَا شَاءَ» هو دخول القول نفسه واستقراره في الجنّة انتظارًا لقائله ليشفع له، ودخوله من أيّ أبواب الجنّة شاء يعني أيضًا توفيق قائل ذلك للاجتهاد في كل الأعمال الصالحة التي جُعلت لها في الجنّة أبوابٌ.

ـ واعلم أنّ أبواب الجنّة قد جُعلت على حسب العمل الصالح، ففي الحديث: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»** [رواه النسائي وصححه الألباني]. وهذا يدل على أنّ المرء يُنادَى من باب الجنّة إذا بذل نوعين من أنواع التطوع وهذا

هو معنى «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ**»، فمن تطوع بنوعين من تطوع الصيام مع صيام فريضة رمضان نُودي من باب الريان، ومَنْ أنفق في بابين من أبواب الصدقة مع أداء الزكاة نُودي من باب الصدقة، وهكذا. وقوله: «**نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ**» يدل على أن هذه الأبواب الثمانية غير باب الجنّة الرئيسي الذي يدخل منه جميع أهل الجنّة، فكأنّ أهل الجنّة يدخلون جميعًا من بابها الرئيسي فإذا دخلوا منه كانوا في الجنّة فعلًا، وحينئذٍ تنادي الأبواب الثمانية على أهلها وهذه أبواب غير أبواب المنازل والغرف التي قال عنها القرءان: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ (ص: ٥٠)، وقال: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد: ٢٣)، وفي الحديث: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا**». قِيلَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ**». وفي رواية: «**وَأَفْشَى السَّلَامَ**» [رواه الطبراني وابن حبان وحسنه الألباني].

ـ وكذا تُفْتح أبواب الجنّة عند الجهاد، ففي الحديث: **«إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»** [رواه مسلم]، وهو يدل على أنّ أبواب الجنّة تُفتَح حقيقةً عند التقاء السيوف في الجهاد، وهذا يفسِّر سرَّ ما أخبر به أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أحدٍ أَنّه كان يجد ريح الجنّة دون جبل أحد ـ أي بالقرب منه. وهذا يدل أيضًا على أنّ أبواب الجنّة إذا فُتِحَت فاحت ريحها الطيبة لكنّ الله يرزق مَنْ يشاء مِنْ خلقه فيشمّ تلك الريح الطيبة في الدنيا.

ـ وهناك بابٌ للجنّة لا يُغلق إلى قرب قيام الساعة؛ ففي الحديث: **«لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ: سَبْعَةٌ مُغْلَقَةٌ، وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ»** [رواه الطبراني وقال المنذري: إسناده جيد وضعفه الألباني]. والمراد أنّه لا يُغلق حتى تطلع الشمس من المغرب، وأمّا بقية أبواب الجنّة فلا تفتح إلّا في أوقات مخصوصة كما قدمنا. وباب التوبة هذا يدخل منه من كملت توبتهم وأبلوا في التوبة بلاءً حسنًا صادقًا.

الفصل الثالث

أبواب الرحمة

وفتحها يعني أيضًا فتح أبواب السماء وزيادة، فإذا دلّت أحاديث على نزول الرحمة وفتح أبوابها فهذا يعني فتح أبواب السماء أيضًا، ولذا نقول في قوله ﷺ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»** [متفقٌ عليه]. وفي رواية لمسلم: **«إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»**، فهذان الحديثان يدلان على نزول الله إلى السماء الدنيا في نصف الليل الأخير وثلثه الأخير، وعلى قبوله للتائبين وعطائه للسائلين ومغفرته للمستغفرين في ذلك الوقت، وهذا يدل على فتح أبواب الرحمة وهذا يستلزم أيضًا فتح أبواب السماء. وقد

تقدم ما يدل على فتح أبواب السماء في ثلث الليل الأخير ونصف الليل الأخير.

ـ وروى الترمذي ـ وضعفه الألباني ـ : **«مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ»** وهذا يدل على أنّ العبد إذا ألهمه اللهُ الدعاء فهذا يعني أنّ أبواب الرحمة قد فُتحت له أو يكون فيه دليلٌ على أنّ الدعاء يفتح أبواب الرحمة المغلقة.

ـ وقد تقدّم في الأحاديث أنّ أبواب الرحمة تفتح في شهر رمضان.

ـ وكذا تُفْتَح أبواب الرحمة إذا قام العبد يصلي، فقد روى الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة: **«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ فَلَا تُحَرِّكُوا الْحَصَى»** [وضعفه الألباني]. وهذا يعني فتح أبواب السماء.

ـ وكذا تُفْتَح لِمَنْ شاء الله مِنْ خلقه في المسجد، ولذا كان ﷺ يدعو عند دخول المسجد بفتح أبواب الرحمة، وسيأتي.

وفي طلبه ذلك دليلٌ على أنّها قد تُفتَح وقد لا تُفْتَح، كما أنّ فيه دليلًا على أنّ المسلم إذا تواجد في المسجد رُجي له أن تُفْتَح له أبواب الرحمة، ولذا أيضًا ورد في الحديث: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَصَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» [رواه أحمد وضعفه الألباني]، وروى البخاري: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ صَلَاتِهِ أَوْ يُحْدِثْ**»، وفي رواية لمسلم: «**لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ**».

فوائد:

١- قد جمع النبي ﷺ بين الرحمة والفضل في أكثر من حديث، فَعَنْ مُرَّةَ بنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ أَصَابَ ضَيْفًا، فَأَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِهِ يَبْتَغِي عِنْدَهُنَّ طَعَامًا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا**

إِلَّا أَنْتَ»، فَأُهْدِيَتْ لَهُ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَقَالَ: «هَذِهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ» [الصحيحة: ١٥٤٣]، وقد حثَّ أمته على أن يقولوا عند نزول المطر ـ كما في الصحيح ـ: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»، وكان يقول إذا دخل المسجد: «رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ» [رواه الترمذي وصححه الألباني] وهذا يدل على وجود أبواب رحمة وأبواب فضل أيضًا.

ـ والفارق بين الرحمة والفضل ـ والله أعلم ـ يحتمل عدّة أوجه:

♦ منها: أن تكون الرحمة هي العطاء المعنوي من المغفرة والرضا ويكون الفضل هو العطاء المادي المحسوس، وقد يدل لذلك قول النبي ﷺ عن الشاة المشوية: «هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ».

♦ ومنها: أن يكون الفضل هو العطاء وتكون الرحمة هي منع البلاء والسوأى، ويكون تقديم الفضل على الرحمة في

الطلب رغم أنّ درء المفاسد مقدَّمٌ على جلب المنافع هو لبيان أنّ العبد إذا رحمه ربُّه فهذا لفضل الله عليه وليس لاستحقاقه، فالعبد إذا أعطاه ربُّه أو صرف عنه فهو يتقلّب في فضل الله عليه. فالفضل هو الرضا والثواب والثناء الحسن من الرب على عبده، والرحمة هي العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

◆ **ومنها:** وهذا داخلٌ فيما قبله، أن تكون الرحمة هي هداية قلب العبد من التعلّق بالمعصية أو الحنين إليها، ويكون الفضل هو هداية قلب العبد إلى منازل الإيمان والإحسان، ولذا دعا بنو إسرائيل ربهم بعد عبادتهم العجل وتوبتهم من ذلك ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩) فقدّموا طلب الرحمة لتعلُّق قلوبهم بالعجل - وعلّم النبيُّ ﷺ أعْرَابِيًّا دعاءً يدعو به، فَقَالَ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا**

قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: هَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي؟ قَالَ: **«قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»** [رواه مسلم]، وفي رواية: **«قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»** فَقَالَ: هَذَا لِرَبِّي فَمَا لِي؟ قَالَ: **«تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي وَاهْدِنِي»** وَمَضَى الْأَعْرَابِي، فَقَالَ ﷺ: **«ذَهَبَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ خَيْرًا»** [رواه أبو دواد وحسنه الألباني].

٢- قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس: ٥٨). قال القرطبي: قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهما: «فضل الله القرءان ورحمته الإسلام». وعنهما أيضًا: «فضل الله القرءان، ورحمته أن جعلكم من أهله». وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة: «فضل الله الإيمان، ورحمته القرءان؛ على العكس من القول الأول. وقيل: غير هذا». أ.هـ.

قلتُ: قد أجمع المفسرون ـ كما قال ابن عاشور ـ على أنّ القرءان مرادٌ من قوله ﴿ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾ على اختلافهم هل هو الفضل أم الرحمة. والقرءان داخلٌ بلا شك في كل المعاني التي ذكرناها عن الفضل والرحمة، فقراءة القرءان من أكبر أسباب زيادة الرزق المادي وكذا المعنوي من المغفرة والرضا، كما أنّ الاهتمام به دراسةً وحفظًا وتلاوةً من أكبر أسباب منع البلاء والسوأى عن العبد في الدنيا والآخرة. كما أنّ تدبره من أكبر أسباب هداية قلب العبد من التعلّق بالمعاصي أو الحنين إليها، كما أنّه من أكبر أسباب هداية قلب العبد إلى منازل الإيمان والإحسان. فالقرءان هو من أعظم ما يفتح للعبد أبواب رحمة ربه وأبواب فضله في الدنيا والآخرة.

٣- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (النساء : ١٧٥)، فدلّت الآية على أنّ الإيمان بالله والاعتصام به هو أعظم سببٍ لفتح أبواب الرحمة والفضل بل لنيل

العبد أعظم الحظ وأوفره من الفضل والرحمة ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ (النساء: ١٧٥) فيكون مغمورًا في رحمةٍ من الله وفضل. وتنكير «رحمة وفضل» يدل على التعظيم.

٤- قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل: ٤٦)، فدلّ على أنّ الاستغفار هو من أعظم أسباب نيل العبد للرحمة من ربه.

وقال أيضًا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور: ٥٦)، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، فدلّ على أنّ طاعة الله ورسوله عمومًا وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة خصوصًا من أعظم أسباب نيل العبد لرحمة الله، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)، فدلّ على تقوى الله من أعظم أسباب نيل الرحمة.

٥- قد دلّت السُّنّة على أنّ طلب الرحمة والفضل من الله من أعظم ما يسأل ويطلب العبدُ من ربه؛ ففي الحديث: «**مَا**

مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [الصحيحة: ١١٣٨] والمعافاة في الدنيا والآخرة هي أعظم ما يتفضل به الربُّ على عبده ويرحمه به، وفي الحديث: **«اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنْ الْعَافِيَةِ»** [رواه الترمذي وصححه الألباني] والعفو والعافية كذلك من الرحمة والفضل. وَسَأَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَسُولَ اللهِ ﷺ دُعَاءً يَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِهِ، فَعَلَّمَهُ أَنْ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»** [رواه البخاري ومسلم] وفيه طلب المغفرة وهي من أعظم الفضل، فيه كذلك طلب الرحمة.



الفصل الرابع

أبـواب الفضل

وقد دلّ دعاؤه ﷺ عند الخروج من المسجد: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**»، قد دلّ ذلك على وجود أبواب لفضل الله.

ـ وفي دعائه ﷺ عند دخول المسجد بفتح أبواب الرحمة وعند خروجه بفتح أبواب الفضل، فيه عدّة معانٍ:

♦ **منها**: إذا قلنا بأنّ الفضل هنا يتعلّق برزق الدنيا، ففي طلب الفضل عند الخروج من المسجد تنبيهٌ على أنّ المعاصي التي يرتكبها العبد تمنعه الرزق وتفسد عليه بركة عمله وسعيه.

♦ **ومنها**: التنبيه على أنّ العبد إنّما ساغ له أن يسأل لنفسه ما هو له عند ربه من الخير (الفضل) إذا أدّى ما عليه من حق ربه من الطاعة والصلاة وتخلّص من آثار الذنوب والمعاصي. (أي ونال الرحمة).

◆ **ومنها**: إذا قلنا بأنّ الفضل هنا يتعلّق برزق الإيمان وصلاح القلب، ففي طلب الفضل عند الخروج من المسجد تنبيهٌ على أنّ الطاعة والتخلص من المعاصي وآثارها (وهذه هي الرحمة) هو سببُ زيادة إيمان العبد وصلاح قلبه، وقد قال بعض السلف: «إنّ من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها» وقالوا أيضًا: «إذا رأيتم الرجل يعمل بطاعة الله فاعلموا أنّ لها عنده أخواتٍ، وإذا رأيتم الرجل يعمل بمعصية الله فاعلموا أنّ لها عنده أخواتٍ».

◆ **ومنها**: التنبيه على أنّ العبد لا تنفعه عبادته وصلاته حتى يرحمه ربّه، ولذا شُرع له سؤال الرحمة عند دخول المسجد. وهذه الرحمة تشمل قبول العمل وكذا معافاة القلب من المعاصي والتعلّق بها وكذا عصمة العبد من الوقوع في المعاصي، ولذا جُمع بين طلب المغفرة والرحمة في أكثر من حديث، وقد تقدّم ذكرُ طرفٍ من ذلك، فالمغفرة تعني العفو عن العبد فيما سلف منه من المعاصي،

والرحمة تعني عصمته من الوقوع في هذا الذنب ثانيةً أو في غيره.

♦ ومنها: التنبيه على أنّ إعانة العبد على العمل الصالح إنّما هي رحمةٌ من الله به لما يترتب على الطاعة من سعادةٍ في الدنيا والآخرة وزيادةٍ في الرزق وقوةٍ في البدن وطمأنينةٍ للنفس وغيرها من الآثار الطيبة التي إذا حصّلها العبد وجد السعة والرحمة وإذا فقدها شعر بالضنك والعذاب والنكد، ولذا يبدأ العبد بسؤال الرحمة عند دخول المسجد. وأمّا سؤال الفضل عند الخروج من المسجد ففيه تنبيهٌ على أنّ قبول العمل الصالح إنّما هو محضُ فضلٍ من الله على عبده وليس العبدُ يستحق ذلك مهما كان اجتهاده في العمل وخشوعه وإخلاصه فيه.

♦ ومنها: التنبيه على حاجة العبد لأن يلهمه ربُّه طاعته وذكره على الدوام، فهو عند خروجه من المسجد يحتاج إلى إعانةٍ من الله له على مزيدٍ من الطاعة والعمل الصالح وذلك

فضلٌ من الله، ولذا شُرِع سؤال فتح أبواب الفضل عند الخروج من المسجد.



الفهرس

الموضوع الصفحة

